لن تبصر الأرض الا خلال شرايينك !

« عن الفلسطيني التائه الذي
ما زال اسمه غسان كنفاني .. »

تطاردني في الليل اوجه اخوتي
وتسقط في وجهي ، من الريح ، جثتي
فأصرخ مرعوباً ويهلع قاتلي
وتحرق أشجارَ المقابر صرختي
هنا الموت ، يا تفاحة الموت أمطري
ثمارك في أرضٍ جحيمٍ وجنةِ
يطاردني القتلى . فأية عيشةٍ
أعيد الى القتلى . بأية ميتةِ ؟

وبين نساء الدوالي وبين كنوز الرمال وبين الهجير وريح
الشمال
تعاطيتُ حبكِ وحدك أنت
وأذكر حتى أدق التفاصيل ، رائحة المطبخ ،
الساحة ، النبعة ، الكتب المدرسيه
واذكر (لا أتصور) صرخة رعبك والطعنة البربريه
ويا مشجباً لجلود القرابين والخوذ الأجنبيه
سلاماً على وجهك الطيب الحلو ،
لا تحرميني يديك وترياق ثدييك ، لا تحرميني لاني أذكر
أذكر يوم صحوت على الانهيار
وبددني الموت ، بددني في جميع الأمم
جريحا ، يدثرني في زوايا المحطات ثوبي المميز ، ثوبي الكفن
وأبكي وأقرع باب الشعوب وباب الزمن .
لانك أمي حملت العذاب قرنفلةً ،
صادروا معطفي فغرزت قرنفلتي في مسامي ،
وبعد فصول بلا مطر ، أبرقتْ ، أرعدت أمطرت
(لم يكن فجأة)

وانتشى جسدي باريج التراب المبلل ، والدم ،
صرتُ قرنفلة للعذاب !
ويوم قتلت اكتشفت حدودي ومستقبلي وصراطي
ويوم قتلت عرفت إلى أي حد احبك
لا بأس يا امرأة الدم والياسمين
سينبجس النبع رغم ركام الاكاذيب ،
رغم هواة التواقيع ،
رغم ازدحام الحكومات حول ضريحي لتوقيع أسمائها في
وداعة ،
(كما يقتضي الاتيكيت)
إذن ، جثتي دفتر لهواة التواقيع ؟!
هذا ضميرك يا عالم الموت ، تعترف الآن أو تنكر الآن ،
موتي سحابة صيف تقشَّعُ عما قريب
وتفشي الطحالب اسرار نبعي الذي ردمته
الاساطير والتكنولوجيا ..
ولا بأس يا امرأة الدم والياسمين
يميناً (وأنت اليمين) ،

لأنك امي التي هي من نسل صلبي
سأكرز بآسمك ، في كل بيت وفي كل مقهى ، وفي كل ساحه
لانك وجهي وتفاحتي وكتابي وشعبي
سأحفر جسمك فى الشمس ،
لن تبصر الارض الا خلال شراييك النازفه
ووجهي عبادة الشمس . يا شمس عيني
ويا شمس روحي وعقلي وقلبي
وأمي التي هي من نسل صلبي
ووجهي . وتفاحتي . وكتابي . وشعبي !
أبشّر قاتلي بالموت قتلا
وأنقض جسمه ليلا فليلا
انا الحكم الذي لا بد منه
أجوب رحاب وادي الموت عدلا
اذا نهب اللصوص حليّ أمي
فقد نهبوا البريق المضمحلا
سأجدل جثتي حبل المنايا
لأملأ سلتي عنباً ودفلى

(الجديد تموز/ ١٩٧٢)